أخلاق المسلمين

الأمانة (٣)

عباد الله، ما زلنا مع صفة الأمانة التي هي سياج للكليات الخمس: (حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ النسل، حفظ العقل، وحفظ المال).

وقد تكلمنا في الخطبة الماضية عن أنواع الأمانات، وكيف كان حال السلف من المحافظة على الأمانات، والآن نعلم عباد الله قول النبي ﷺ حينما تكلم عن أشراط الساعة، ومنها: **"يُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا"**[1]، وقد رأينا عباد الله نماذج مشرقة من الرسل والصحابة.

واعلموا عباد الله أن الأمين يحفظه الله، ويحفظ أمانته، وييسر له شأنه، ويؤدي عنه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: **"أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَأْتِنِي بِالْكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا فَأَخَذَ خَشَبَةً، فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كَفِيلًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ، حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ، لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ فَأَخَذَهَا**

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٧٠٨٦)، وروه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٤٣).

لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَى بِالْأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا"[1].

الله أكبر الله أكبر عباد الله، تأمل! لقد علم الله صدق أمانته فأدى عنه وسخر له البحر في أداء أمانته لإخلاصه ومراقبته لله ﷻ.

وبعد أن استعرضنا عباد الله أنواع الأمانات وهذه النماذج المشرفة، فليحاسب كل منا نفسه أين هو من الأمانة حتى نعلم أننا اقتربنا من أشراط الساعة التي قال عنها رسول الله ﷺ: **"يُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا"**.

والآن تعالوا معي إلى عاقبة تضييع الأمانة، فهذا المؤدي للأمانة يسمى الأمين، فيا ترى ماذا يسمى المضيع لها؟! يسمى خائنا، غادرا، غشاشا؛ مسميات سوداء عافانا الله وإياكم منها:

الخيانة:

أتدرون عباد الله ما هي الخيانة؟ هي الخداع في مقام الائتمان؛ ولهذا عندما تستعرض صفات الله تعالى تجد له صفات مطلقة، مثل: العليم السميع، وصفات مقيدة: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ولكن عند الخيانة قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾[الأنفال: ٧١]، ولم يقل: فخانهم؛ لأنها صفة نقص دائم.

فمن الخيانة الغدر:

فعن عبد الله بن مسعود وابن عمر ﷺ قال النبي ﷺ: **"لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ:**

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢٢٩١)، موقع الدرر السنية: معلق وقد وصله في موضع آخر.

هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ"[1]، وفي رواية: **"لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"**[2]، فكل من غدر بالمسلم أو بالمسلمين، كل من استؤمن فخان من أجل جنيهات، كل من غش في قوت المسلمين ومقدّراتهم، يا ويله ثم يا ويله يوم القيامة، أتدرون عباد الله ماذا يُفعل به وهو على رأس الأشهاد؟! يرتفع منه لواء مثل العلم يراه الناس مفضوحًا مخزيًا، يقال: هذه غدرة فلان، وكلما كانت الغدرة كبيرة كلما ارتفع العلم أكثر، ومن الخزي أيضًا أن أصل هذا اللواء يثبت عند استه أي مقعدته.

ومن الأمانة ترك الغش[3] والخداع:

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ؛ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا؛ فَلَيْسَ مِنَّا"**[4]، وفي رواية: **"أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟! مَنْ غَشَّ؛ فَلَيْسَ مِنِّي"**[5].

من غشنا؛ فليس منا سواء في التجارة، أو الزراعة، أو الصناعة، أو في التعليم

من غشنا؛ فليس منا سواء في المواد الشرعية أو المواد الأجنبية

من غشنا؛ فليس منا سواء لمصلحتك أو مصلحة غيرك

من غشنا؛ فليس منا سواء كنت أنت الذي تغش أو تغشش

من غشنا؛ فليس من أمة محمد ﷺ

فمن غش في مجال التجارة وباع شيئا فاسدًا أو فيه عيب وزينه؛ فليس منا

من غش رعيته أو من استخلفه الله عليهم فباع مقدراتهم وفرط؛ فليس منا

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣١٨٦)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه واللفظ له (١٧٣٦).

[2] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٧٣٨).

[3] غش يغش من الغشش، وهو الماء العكر.

[4] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٠١).

[5] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٠٢).

من غش في الاختبارات كما سبق سواء لمصلحته أو لمصلحة زميله، سواء المواد الشرعية أو غير شرعية سواء غَشَّشَ أو غش؛ فليس منا.

وكذلك من يساعد على الغش من مراقب، أو مدرس، أو من يصور مذكرات ويصغرها ليغش منها الطلبة وهو يعلم أن هذا للغش؛ فليس منا.

ألا يعلم هذا الغشاش أن كل شيء قد كتبه الله قبل مولده؟!

ألا يعلم هذا الغشاش أنه قد رفع القلم وجفت الصحف؟!

ألا يعلم هذا الغشاش أن الله ينظر إليه، ويسمع، ويرى؟!

سوف يأتي يوم القيامة، ويحاسب الناس، ويضع الله الصراط على ظهر جهنم، ولا بد أن يمر عليه كل أحد غني أو فقير، ذكر أو أنثى، صالح أو طالح، قال ﷻ: ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا** ﴾ [مريم: ٧١].

والصراط أَحَدُّ من السيف، وأدق من الشعرة، ومن جهنم تخرج كلاليب مثل الخطاف تأخذ العصاة، فمن نجا؛ دخل الجنة، ومن لم ينج؛ سقط في النار، في هذا الوقت سوف تأتي الأمانة تدافع عن صاحبها وتنجو به إلى الجنة بإذن الله[1].

ولكن يا حسرتاه! فالغش ينافي الأمانة، فما حالك إذن أيها الغشاش؟

فلنتب ولنرجع إلى الله قبل أن نهلك، لما سألت أم المؤمنين زينب رضي الله عنها رسول الله ﷺ: "**يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**"[2].

رأى سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه رجلًا يبيع لبنًا قد خلطه بالماء فقال له: "**كَيْفَ لَكَ إِذَا قِيلَ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: خَلِّصِ الْمَاءَ مِنَ اللَّبَنِ؟!!**"[3].

---

[1] روي هذا المعنى في صحيح مسلم رحمه الله (١٩٥).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٣٤٦)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٨٨٠).

[3] أخرجه البيهقي رحمه الله في شعب الإيمان (٤٩٢٧)، وقال الهيثمي رحمه الله في الزواجر (١/٢٣٧): إسناده لا بأس به، وضعفه الألباني رحمه الله موقوفًا في ضعيف الترغيب (١٠٩٢).

ما بالنا بهؤلاء الذين يروجون سلعتهم التي انتهى تاريخ صلاحيتها؟! بل قد يكون فيها الهلاك للناس، لم يفعلون هذا؟ لمتعهم في الدنيا ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان: ٢٤].

ذكر هبة الله اللالكائي رحمه الله: **"أن عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنِ مَحْمُودٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أَقْبَلْنَا حُجَّاجًا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالصِّفَاحِ تُوُفِّيَ صَاحِبٌ لَنَا، فَحَفَرْنَا لَهُ، فَإِذَا أَسْوَدُ قَدْ أَخَذَ اللَّحْدَ، حَتَّى حَفَرْنَا قَبْرًا آخَرَ، فَإِذَا الْأَسْوَدُ قَدْ أَخَذَ اللَّحْدَ، قَالَ: فَحَفَرْنَا لَهُ آخَرَ، فَإِذَا الْأَسْوَدُ قَدْ أَخَذَ اللَّحْدَ، قَالَ: فَتَرَكْنَاهُ، وَأَتَيْنَاكَ لِنَسْأَلَكَ مَا تَأْمُرُنَا، قَالَ: ذَاكَ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، اذْهَبُوا فَادْفِنُوهُ فِي بَعْضِهَا، فَوَاللَّهِ لَوْ حَفَرْتُمُ الْأَرْضَ كُلَّهَا وَجَدْتُمْ ذَلِكَ، فَأَلْقَيْنَاهُ فِي قَبْرٍ مِنْهَا، قَالَ: فَلَمَّا قَضَيْنَا سَفَرَنَا، أَتَيْنَا امْرَأَتَهُ فَسَأَلْنَاهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: كَانَ رَجُلًا يَبِيعُ الطَّعَامَ، فَيَأْخُذُ قُوتَ أَهْلِهِ كُلَّ يَوْمٍ، فَيَنْظُرُ مِثْلَهُ مِنْ قَصَبِ الشَّعِيرِ فَيُقَطِّعُهُ فَيَخْلِطُهُ فِي طَعَامِهِ مَكَانَ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ"**[1].

هذه عقوبة الغشاش، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى

عباد الله، فلنرجع إلى ربنا سبحانه وتعالى، ونستغفر من ذنوبنا عل الله يرحمنا، ونستغفر من التقصير في أمانتنا، الأمانة مع الله، ومع النفس، الأمانة مع الناس في حفظ المال وكتمان السر، وعدم الخيانة فيما استرعانا الله، ونندم على ما فعلنا، علنا تصيبنا رحمته سبحانه.

[1] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢١٥١)، للالكائي رحمه الله.